الحفريات حول الحرم

محمود العابدي

موقع القدس

كان موقع القدس مسكونا منذ فترة الاستقرار والتحضر الأولى بدليل ما وجده المنقبون من نماذج الفخار التي وجدت في قبر على منحدر تل اوفيل (عوف ايل) جنوب المدينة الحالية ـ ذلك التل الذي كان نواة للمدينة اليبوسية التي سبقت المدينة الاسرائيلية وقد أرجع العلماء هذا الفخار الى العصر البرونزي القديم (٣٠٠٠ ـ ٢١٠٠ ق٠م) ٠

قامت القدس القديمة على تل الظهور (أوفيل) وهو موقع غير مناسب لمدينة يراد لها الاتساع اذ يلف حولها من الشرق وادي قدرون وينحدر بالتدريج للجنوب الشرقي ، وعرضه أقل من مئتي متر ٠ ويجري فيه خلال الشتاء والربيع جدول ولكنه يجف في الصيف ٠ ويتصل قدرون في الجنوب بوادي هنوم (جهنم) الذي يمتد الى الغرب نحو نصف ميل ثم يدور الى الشمال ٠ وأخيرا يتصل بوادي تريبيون (باعة الجبن) الذي يمتد شمالا وهكذا يكون موقع القدس القديمة محاطا من ثلاث جهات بالوديان ولا يتصل مع مستوى الأرض الا من الشمال ، وهذا هيأ لها درعا واقيا من هجمات الأعداء ٠ وهناك سبب أهم لاختيار هذا الموقع لمدينتنا هذه هو وجود عين العذراء (عين جيحون) على جانب وادي قدرون جنوب شرقي الموقع ٠

يمتد وادي تريبيون من باب العمود شمالي المدينة مسافة نحو كيلو متر ونصف حتى يلتقي بوادي هنوم في الجنوب ٠ وترتفع الآكام في شرقيه وفي غربيه نحو ٥٠ ـ ١٥٠ قدما ومن كثرة هدم المدينة وتراكم الأنقاض امتلأ وادي تريبيون بها ٠

بنى اليبوسيون أول حصن لهم في (تل أوفيل) بمساحة نحو سبعين دونما ، وأخذت المساحة تتسع عند لزوم التوسع بسبب كثرة السكان وذلك ببناء سلاسل يملأ خلفها بالصخور والأتربه لتوفير مساحات جديدة حتى امتدت الأبنية الى ما يقارب عين العذراء ٠

هذه هي المدينة التي فتحها ذاود حوالي سنة ١٠٥٠ ق٠م ٠

ومنذ أيام سليمان وما بعده الى أيام المكابيين ١٦٠ ق٠م أخذت بعض الأبنية تقام على السفح في غربي وادي تريبيون الى ان اتصلت بتلة صهيون حيث تقوم القلعة الحالية ومقام النبي داود ٠ وهو أعلى من أوفيل بنحو ثمانين قدما ٠

في شمالي أوفيل حفر خندق عمقه عشرون قدما ليفصل المدينة عن صخور الشمال ٠ وبني فيه سور ٠ هذا الخندق هو الواقع بين المتحف ومقبرة باب الساهرة الى حي المصرارة ٠ والمرتفع الصخري يسمى تل أكرا ، وفي أسفله مغارة الهدمية حيث بني موقف السيارات الحالي ٠ وفي جنوب الخندق محاجر سليمان والسور الحالي ٠

ولقد وصف المؤرخ يوسيفوس مدينة القدس في أيامه (منتصف القرن الأول بعد المسيح) بقوله المدينة مبنية على تلين الواحد مقابل الاخر ـ بينهما واد يشطرهما ٠ والبيوت متقابلة على طرفي التلين والتل الغربي (صهيون) أعلى من التل الشرقي (المريا)

صخر القدس الأعلى كلسي رملي فيه بعض الصوان ، كما يرى الان في صخور بناية الروضة وفي محاجر سليمان · والأسفل حجر كلسي أبيض سهل النحت صالح للبناء لانه يقسو عندما يتعرض للهواء ، وهذا ما سهل على السكان حفر الآبار والحياض العظيمة والأنفاق الكبيرة · وكان لها شأن عظيم في تاريخ المدينة (١) ·

رواد التنقيب

منذ أن صمم اليهود على التجمع في فلسطين واقامة دولة لهم فيها أخذوا يعملون على البحث عن بقايا الهيكل المهدوم · وقد ساعدهم على البحث عنه ارساليات التبشير ورهبان الأديرة ·

ففي سنة ١٨٠٠ درس الأب فنسنت سلسلة المداخل المؤدية الى الحرم الشريف ، والأنفاق التي كان الماء يجري فيها من النبع في سلوان الى داخل أسوار المدينة القديمة · وكان أهمها نفق سلوان الذي بلغ طوله ٥١٧ مترا وكان المؤرخون يفترضون أن جيش الملك داود دخل منه واحتل ساليم اليبوسية حوالي سنة ألف قبل الميلاد ·

وفي سنة ١٨٢٢ كان يعيش في القدس مبشر سويسري اسمه كونراد شيك وقد اكتسب خبرة ممتازه في التعرف على تاريخ مدينة القدس القديمة · وقد ركز بنوع خاص على دراسة التضاريس الصخرية التي تقوم عليها أبنية القدس الحالية · ولقد تخيل صورة لهيئة الهيكل على جبل مريا حيث شرع ابراهيم يضحي بابنه وحيث يقوم مسجد الصخرة ـ حسب ظنه ·

ولقد أكد أن الأقصى التحتا وما يسمى باصطبلات سليمان والمكان المسمى مهد عيسى تعود الى عصر جوستنيان من القرن السادس بعد الميلاد وقد استدل على ذلك من طراز دقاقة الحجارة وأشكال الأقواس ·

وفي سنة ١٨٣٩ أخذ المبشر الاميركي باركلي يزيل الأنقاض التي تراكمت في باب البراق (الذي يعرف الان بباب المغاربة) ليكشف حدود الهيكل القديم ومداخله · واكتشف في شمالي العتبة الضخمة أربعة مداميك من حجارة ضخمة تدل على أن البناء روماني · وتحت هذا الباب حنية في الواجهة فيها محراب ـ ذكرى لربط براق النبي عليه السلام يوم الاسراء والمعراج · وعلى هذا المحراب بني مسجد البراق الذي هدمه اليهود في حفرياتهم سنة ١٩٦٨ لتوسيع جدار المبكى ·

وكان باركلي يظن أنه اكتشف أحد الأبواب الأربعة التي ذكر المؤرخ اليهودي يوسيفوس بأنها كانت مداخل الهيكل · وتحت الباب درج منحوت في الصخر يصعد من الأرض الواطئة الى ساحة الحرم ·

وفي سنة ١٨٥١ عرض العالم ليارد بعض التماثيل الضخمة للثيران والمسوخ المجلوبة من العراق فأعجب بها الجمهور البريطاني · ولقد رأى البعض أن الأراضي المقدسة لا بد وأنها تخبيء مثل هذه العجائب · وكان ذلك ناشئا عن الرغبة الملحة في البحث عن المواقع الأثرية التاريخية المذكورة في التوراة ·

ولقد أظهرت رحلة العالمين الاميركيين ادورد روبنسون وغالي سمث كثيرا من أسماء القرى العربية لا تزال تلفظ كما وردت في التوراة · ولم يكونا يعرفان انها كنعانية الأصول ·
وزاد في أهمية الموضوع معلومات وثيقة نشرها جورج غروف ·

لهذه الأسباب زادت رغبة كثير من الانكليز في زيارة الأراضي المقدسة ، والعمل على خدمتها ـ

(١) جغرافية الكتاب وتاريخه تأليف موست كنت وترجمة غبريل ـ بيروت سنة ١٩٢٣

من ذلك اندفاع المحسنة انجيلا بوردت كوت لتقديم عون مالي لتحسين موارد الماء في القدس. فقام السير شارل وارن S. Warren بعمل مسح تمهيدي لتحقيق هذا المشروع الخيري ·

وهنا قدم القنصل البريطاني في القدس اقتراحا يدعو الى توحيد جهود الأفراد في شكل من الأشكال المنظمة · واستجابة لهذا الاقتراح تداعت جماعة من العلماء في لندن لدراسة الاقتراح ونتج عن ذلك الاجتماع تأسيس مؤسسة التنقيب الفلسطينية The Palestine Exploration Fund في ٢٢ حزيران سنة ١٨٦٥ فكانت أول جمعية علمية تقوم بالتنقيبات · واحتلت مكانة خاصة كرائدة في دراسة الآثار ·

وفي الوقت ذاته كان شاب موظف في القنصلية الفرنسية بالقدس اسمه كليرمونت غانو Clermont Ganneau يزاول هوايته في اكتشافات أثرية خاصة · وقد وفق لاكتشاف آنية مزدانة برسوم خرافية بديعة النقوش · وجدها في قبر على طريق الآلام داخل القدس القديمة · ورأت المؤسسة أن تضم جهوده الى أعمالها لتستفيد منه·

وفي سنة ١٨٧٤ اكتشف تماثيل جوبيتر وفينوس ملقاة في المجاري تحت المحكمة الشرعية قرب باب السلسلة ، ثم نزع البلاط من ساحة المغاربة حتى زاوية السور الجنوبي فلم يجد أكثر من مخلفات العصر الاسلامي ·

وقد ركزت المؤسسة أعمالها على مدينة القدس ـ لما لها من المكانة الدينية لدى عقلية القرن التاسع عشر التوراتية · ولذلك وضع المهندسان شارل ولسون وشارل وارن الاسس لدراسة طبوغرافية القدس ومعرفة تاريخها ·

حفريات وارن

في سنة ١٨٦٧ قام السير شارل وارن باسم مؤسسة التنقيب الفلسطينية بحفريات خلف أسوار الحرم واهتدى الى سور تحت الأنقاض يبدأ من الزاوية الجنوبية الشرقية · وقد أخذ في الابتعاد جنوبا وغربا حتى التقى بباب المغاربة Dungan Gate أحد أبواب المدينة من الجنوب · واعتقد أنه السور الذي دافع عن يبوس الكنعانية في وجه غزو جيش داود الاسرائيلي في أواخر القرن الحادي عشر قبل الميلاد ·

وفي سنة ١٨٧١ حفر وارن تحت باب السلسلة في الغرب من الحرم ، فاكتشف أقبية قامت على صفين أو ثلاثة من الأعمدة تعلوها عقود انصاف دائرة · كما كشف عن طريق مرصوف يحاذي السور من الغرب ومن الجنوب · وتعمق الحفر تحت هذا الرصيف الى ٥١ قدما حتى وصل الى الصخر الذي بنيت عليه قواعد الأسوار · ثم دار حول السور الجنوبي وحفر في حاكورة عائلة الامام الى أن وصل الى الباب المنفرد في سور الأقصى ، الذي يعلوه قوس اسلامي أو صليبي لا علاقة له ببناء الهيكل · ثم وصل الى البوابة الثلاثية التي بنيت على الطراز البزنطي · وواصل حفرياته حتى وصل الى الباب المزدوج الذي كان يفتح الى الأقصى التحتا الذي هو من أبنية عصر جوستنيان في القرن السادس بعد الميلاد · وقد عثر على كتابة باللغة اللاتينية على حجرين من حجارة البناء الضخمة وقد وجدت مقلوبة على قاعدة تمثال من عهد الانطونين ـ انطونيوس بيوس وانطونيوس أوريليوس ـ معظم الحروف لا تزال مقروءة وهي تذكر خلفاء الامبراطور هدريان بالتبني ·

يقول المؤرخ بروكبيوس الذي كان أسقفا لمدينة القسطنطينية سنة ٦٥٠م أن الأقصى التحتا وما يسمى اسطبلات سليمان ومهد عيسى كلها من أعمال ـ جوستنيان الذي سبقه بقرن وربع القرن ـ وقد أخذ حجارتها من محاجر القدس المعروفة بمحاجر سليمان ـ بين بابي العمود والساهرة · وقد نقلتها عجلات كان يجر الواحدة منها أربعون ثورا ، لضخامتها ·

ثم دار وارن حول الزاوية الجنوبية الشرقية التي تعد من أضخم أبنية العصر الروماني ومشى مع السور الشرقي وأجرى سبرا في الأنقاض المتراكمة هناك فهبط به الحفر الى عمق ثمانين قدما ، حتى وصل الى الصخر · ثم واصل تحرياته

حتى وصل الى الباب الذهبي الذي سماه العرب باب الدهرية وتسمى فتحته الأولى باب الرحمة وفتحته الثانية باب التوبة (توما توما) ٠

أغرى وارن خدم الحرم فسمحوا له بدخول الغار تحت الصخرة ٠ وادعى أنه أزاح غطاء حجريا فوجد تحته مجرى دماء الضحايا ٠ وقد بنى حكمه على ما جاء في التلمود من أن الصخرة كانت هي المذبح وكان عليها مجرى تسيل منه دماء الضحايا الى الغار ومنه تجري في قناة الى وادي قدرون ٠ ولكنه نسي أن المذبح كان في زمن سليمان وخلفائه مصنوعا من المعدن ٠ ولو فرضنا أنه نصب فوق الصخرة فان آثاره قد أمحت ولم يبق منها حفر أو بناء ، حتى قام الحفار باركر فدحض ادعاء وارن هذا كما سيجيء ٠

قنطرة ولسون

يقوم باب السلسله على قنطرة كبيرة فوق جسر اكتشفه توبلر Tobler وسماها باسم المستر ولسون مدير المساحة في بريطانيا ٠ على هذه القنطرة وغيرها من القناطر أقيم الطريق الذي كان يوصل بين المدينة العليا عند باب الخليل وبين المدينة السفلى على جبل المريا ـ عبر وادي تريبيون الذي كان ينخفض كثيرا عما هو عليه الان (حارة الواد) وقد بنيت الطريق فوق الأنقاض التي ملأت الوادي ، نتيجة للحروب المدمرة ٠ وقد اقيمت أقواس ونصبت قناطر فوق الردم لتقلل الهبوط ٠

ويبلغ ارتفاع قنطرة ولسون ٢١ قدما واتساعها ٢٤ قدما وطراز بنائها بزنطي وحجارتها ليست بضخامة حجارة الأسوار ٠

وفوق قنطرة ولسون كان الأمير تنكز المملوكي قد بنى مدرسته الشهيرة سنة ١٣٢٠م والتي استعملت في تاريخ متأخر محكمة شرعية ٠

قنطرة روبنسون

عندما كان العالم الأثري روبنسون يقوم بمسح أثري حول الحرم عثر في سنة ١٨٦٤ على قوس أو قنطرة في زاوية الحرم الجنوبية الغربية على بعد ١٣ قدما من الزاوية الفخرية ـ زاوية آل أبي السعود ـ وافترض روبنسون انها نهاية الجسر الذي كان يصل المدينة العليا على جبل صهيون في الغرب بالمدينة السفلى على جبل المريا في الشرق وقال انها بنيت في القرن الخامس أو السادس بعد الميلاد ٠ ويبلغ اتساعها ٥٠ قدما وارتفاعها ٢١ قدما وقد بنيت من حجارة ضخمة كحجارة السور ٠ ويرجع غيره هذا القوس الى أيام هردوس ٠ وللجنوب من قنطرة روبنسون طمرت حجارة كبيرة على عمق ٣٥ ـ ٥٥ قدما وقد ظهرت في حفريات اليهود بعد سنة ١٩٦٨ وبعضها منحوت أملس وعليها أشكال حزوز وسهام ٠ وقد تكون من بقايا سور هردوس الذي كان يمتد حتى باب المغاربة ـ باب المدينة الجنوبي ـ الذي لم يبق منه فوق سطح الأرض الا عشرة أقدام بينما لا يزال الباقي تحت الأنقاض ٠ ويمتد سور هرودس الى الشرق حتى يلتقي بالزاوية الجنوبية الشرقية من سور الحرم ٠

حفريات باركر

قام الكابتن باركر سنة ١٩٠٩ ـ ١٩١١ بالبحث عن كنوز سليمان ٠ وقد سمحت له السلطات العثمانية بذلك لشدة حاجتها الى المال ٠ حفر في سلوان شمالي عين أم الدرج وكشف الأسراب اليبوسية التي كان الماء يجري فيها من المنبع في عين جيحون شرقا الى داخل المدينة في عين أم الدرج غربا وكان يعتقد أن يؤاب قائد جيش الملك داود دخلها ومنها فتح المدينة اليبوسية ٠

ثم حول نشاطه الى الجهة الجنوبية وبحث عن مداخل سرية توصله الى الأقصى التحتا ٠ فلم يجد الا الصخر على عمق بضع سنتميترات ووجد قنوات الماء التي يجري فيها ماء المطر الساقط عن أسطحة الأقصى ليتسرب الى الصهاريج القريبة التي كانت تسد شيئا من الحاجة الى المياه في أواخر السنة ٠ وهو ما أدت اليه الحفريات الحالية وخابت الآمال في ايجاد مداخل الى الأقصى ٠

ولما رشا الحرس مكنوه من دخول اسطبلات

سليمان ، فلما لم يجد شيئا زاد في الرشوة حتى مكنوه من دخول الغار تحت قبة الصخرة واقتلع البلاط فوجده راكبا فوق الصخر مباشرة · وليس تحته أي فراغ أو قناة ـ كما زعم سلفه وارن قبل أربعين سنة فليس هناك قناة لجرى دماء الضحايا · كما أنه لم يجد بئر الأرواح الذي كانت تروي الأساطير أنه في الغار عندما تزعم الرواية اليهودية أن كبير الكهنة كان يناجي الأرواح منه بعد موت أصحابها · ولم يجد اثرا لدماء الذبائح فوق الصخر · وأثبت ما جاء عن مذبح هيكل هرودس الذي كان يبعد عن قدس الأقداس في الكهف ٢٢ ذراعا وأنه بني من حجارة غشيمة وكانت مساحته ٣٠ ذراعا مربعا · وكان يرتفع عن الأرض ذراعا واحدا أي أنه كان خارج الهيكل ·

كل هذا حمله على أن يبحث عن مدينة داود وسليمان خارج هذا المكان ـ ربما في حاكورة عائلة الامام في الجنوب من خارج الأقصى ، تصديقا للرواية ، التي تقول أن مدينة داود لم تتعد وادي صادوق الفاصل بين أوفيل والمريا التي تقوم عليها الصخرة ـ واستدل من الفخار الذي جمعه أن مدينة القدس بدأت حياتها المدنية قبل الميلاد بنحو ثلاثة آلاف سنة وليس بألف وخمسماية سنة كما كان يظن ·

سرقة الحرم

وقد جاء في مقتطف سبتمبر سنة ١٩١١ : كان جماعة من الانكليز ينقبون في القدس عن الآثار القديمة فسولت لهم نفوسهم أن يحتفروا في الحرم الشريف · فأغروا كبير حراسه بالمال وأتموا عملهم ليلا · فلما نهض الأهلون في الصباح وعرفوا بالحادثة ثارت ثائرتهم ورفعوا الاحتجاجات والشكاوى الى المراجع العليا في الآستانة فاهتمت بهذا النبأ وألفت لجنة للتحقيق في المسألة رئيسها عزمي بك متصرف طرابلس الشام واعضاؤها الفريق هاشم بك ومرعي باشا مدير أوقاف حلب · وشاع أن المحتفرين عثروا على خزائن سليمان وتاجه وصولجانه وتابوت العهد والألواح الحجرية الى غير ذلك مما يظن وجوده في الحرم الشريف · غير أن نتيجة التحقيق لم تظهر بعد ·

واللجنة توالي البحث والتنقيب لتجلو الحقيقة · ويخفر محل اجتماعها نفر من الجند شاكي السلاح وقد دعت الى الاستجواب نحو خمسين شخصا ·

وكادت هذه الحادثة تفضي الى عاقبة سيئة ، فقد هاج الأهلون وحنقوا على المتداخلين في هذه الحادثة حتى ساد الاضطراب وعم الرعب وتوقع الناس حدوث فتنة · واتفق في بعض الأيام أن تخاصم اثنان من القرويين ، فذاع الخبر بحدوث فتنة فأقفلت الأسواق والمخازن وتسارع الناس الى بيوتهم مضطربين جازعين · غير أن الحكومة المحلية سكنت روعهم وخفضت مخاوفهم فعادوا الى أعمالهم في اليوم الثاني

وترى الأهلين هناك متجمهرين متشوقين الى ادراك النتيجة وانجلاء الحقيقة ومعرفة ما عثر عليه الانجليز في تنقيبهم من العاديات الثمينة ·

وفي موسم ١٩٢٣ ١٩٢٤ كشف مكلستر برجا على تل أوفيل خارج الأسوار وظنه كروفوت في حفرياته التي قام بها ٢٦ ـ ١٩٢٨ من عهد داود وسليمان ولكن الدكتورة كنيون أعادته الى عهد اليونان والمكابيين من القرنين الثالث والثاني قبل الميلاد ·كما اكتشف المذبح العالي لليبوسيين في خندق على جبل أوفيل خلف السور ·

وفي سنة ١٩٢٦ اكتشف كروفوت سورا جنوبي السور الحالي قال انه سور سليمان · ولكن الدكتورة كنيون تقول انه لا يتجاوز القرن الأول قبل الميلاد · وفي سنة ١٩٣٧ أذاع كروفوت أنه اكتشف بوابة أسوار مدينة داود التي كان اتساعها ثلاثة أمتار ونصف وارتفاعها سبعة أمتار · وقد بنيت من حجارة غشيمة ·

حفريات الدكتوره كنيون

لقد وقفت قلعة القدس اليبوسية في وجه الغزو الاسرائيلي فاصلا بين ما اغتصبوه في الشمال والجنوب منها ، وبعد أن أمضى داود تسع سنين في حبرون استطاع أن يفتح القلعة

اليبوسية وأن يجعلها عاصمة له ، كما بنى فيها ابنه سليمان الهيكل المشهور ، هكذا كتب للقدس أن تلعب دورا هاما في تاريخ التوراة · ولكن أين كانت عاصمة داود وأسوارها وذكرياتها ؟ هذه مشاكل بقيت صعبة الحل حتى قام علماء الآثار يحاولون حلها ففي سنة ١٨٦٧ أجرى وارن Warren البروفسور الانكليزي حفريات خارج السور الجنوبي الشرقي من الحرم الشريف · وبعد ثلاثين سنة قام بلس Bliss وديكي Dickey بحملة أخرى في نفس المكان وبعد ثلاثين سنة أخرى قام مكلستر Macalister بتنقيبات ثالثة · وانتهت هذه الحفريات بوضع مخططات ظهرت فيها ما كان يسمى حلا لتلك المشاكل ·

ولكن الآنسة كثلن كينيون Kethleen Kenyon ما كادت تنتهي من حفرياتها في أريحا سنة ١٩٥٨ حتى عزمت على اعادة الحفر في المكان المذكور بوسائل علم الآثار الحديثة لانها كانت تشك في النتائج التي توصلت اليها البعثات السابقة · وما كادت تعلن عن عزمها باسم المدرسة البريطانية لعلوم الآثار في القدس حتى انضمت اليها المدارس الافرنسية والاميركية في القدس· وهكذا بدأت موسمها الأول سنة ١٩٦٠ ·

على هذا السفح الذي ينحدر الى وادي سلوان حتى عين أم الدرج قامت كنيون بحفر عدة خنادق ، اظهر العلوي منها أن ما ظنته الاكتشافات السابقة سور المدينة اليبوسية التي استولى عليها داود حوالي ١٠٠٠ قبل الميلاد ـ ما هو الا السور الروماني الذي قام على أسس هيلانية لا تتجاوز القرن الثالث قبل الميلاد · وهناك عثرت على الآبار والصهاريج التي تعود الى المدينة الرومانية التي بناها هدريان سنة ١٣٥ م باسم ايليا كابيتولينا Alea Capitolina وكلما توسعت في الحفر نحو الشمال كانت تقترب من التحصينات القديمة · حتى وصلت الى سور يمكن ارجاعه الى سنة ١٨٠٠ قبل الميلاد · وقد جدد ورمم بعد حوادث طرأت عليه حوالي سنة ١٤٠٠ ق·م وهو السور اليبوسي الذي وقف في وجه الغزو الاسرائيلى ثم رمم مرة ثانية واستمر حاميا للمدينة اليبوسية التي احتلها الأشوريون حتى سنة ٧٠٠ ق·م وقد لاحظت الدكتورة كينيون أن اليبوسيين كانوا يبنون جدرانا استنادية يملؤونها بالحجارة والأنقاض حتى يوفروا بسطة Platform واسعة تقام عليها الأبنية فوق هذا السفح ·

وفي الموسم الثاني سنة ١٩٦٢ كشفت أن هذه الأسوار هدمت أربع مرات في التاريخ وأعيد بناؤها أربع مرات كان آخرها سنة ٥٨٧ عندما هدمتها بابل ودمرت القدس واختفت معالم المدينة اليبوسية بعد أن خدمت نحو ٨٠٠ سنة ·

عندما عاد نحميا من السبي البابلي سمح له الفرس باعادة بناء الأسوار ولكن على مقياس أضيق · وهنالك ولا سيما في الشمال ظهر السور الذي بناه هيرودس ومن بعده اغريبا Agrippa ٤٠ ـ ٤٤ م وقد اضطر تيطس لهدمه عند عصيان اليهود ومهاجمة الهيكل سنة ٧٠م وقد أدى الحفر هنا الى اظهار شارع مبلط من القرن الميلادي الأول · وفي الموسم الأخير الذي جرى سنة ١٩٦٤ كادت النتائج تقنع الدكتوره كينيون أن المدينة اليبوسية كانت شرقي أسوار الحرم وعلى هذا السفح المنحدر الى وادي قدرون · ولم تكن المدينة على جبل المريا حيث يقوم الحرم الشريف اليوم · ولهذه النتائج أهمية خطيرة في تاريخ المدينة المقدسة ·

الحفريات الاسرائيلية

قبل حرب حزيران ١٩٦٧ كان اليهود يقرأون تقارير حفريات المدرسة البريطانية فيغتاظون منها ، لانها لم تأت على هواهم عندما كانت تذكر أن الحفريات التي أجرتها على أحدث الأصول العلمية لم تتوصل الى تعيين مكان الهيكل ·

لذلك كان في طليعة ما بادروا للقيام به بعد دخولهم القدس القديمة ١٩٦٧ هو الاسراع في القيام بأعمال الحفر والتنقيب للوصول الى أهداف سياسية بعيدة عن الحق والعلم مهما كانت النتيجة ·· وبعد أن فرغوا من أعمال الجرافة في ازالة الأبنية الاسلامية والأوقاف

الخيرية والزوايا والمدارس التاريخية الواقعة في منطقة المبكى أسرعوا في هدم الأبنية الملاصقة لزيادة امتداد الجدار شمالا وجنوبا ·

قال البروفسور بينامين مازار الاستاذ في الجامعة العبرية هنا أن الحفريات للآثار عند حائط المبكى في القدس القديمة تهدف الى الكشف عن الطبقات الدنيا للهيكل الذي بناه هناك الملك سليمان ·

وقال البروفسور مازار الذي بدأ الحفريات قبل خمسة أسابيع أن العمل في الموقع الذي يجاور المسجد الأقصى سيستغرق ستسنوات · ويبلغ طول منطقة الحفريات ٧٠ مترا وعرضها عشرة أمتار · وقال مازار أن علماء الآثار وصلوا حتى الان الى الطبقة الرابعة عشرة من الحجارة من أعلى الحائط ، وان قطع فخار ونقودا ذهبية تعود للعصر الفارسي وجدت في الحفريات ·

في ٣ آذار سنة ١٩٦٨ أعلن البروفسور بنيامين مازار الذي تولى الاشراف على الحفر باسم الجامعة العبرية أنهم وجدوا في الجدار الجنوبي قطعة من وعاء حجري كتب عليه كلمة قربان باللغة العبرية كما زعموا أنهم عثروا على ٥ درجات كانت تصعد الى الهيكل ·

وقال مازار أن الحفريات الجارية في المنطقة الجنوبية من سور الحرم تبلغ مساحتها ١٥ × ٧٠ مترا والمقرر أن تجري الحفريات على طول السور الجنوبي ·

وحتى ١٤ تموز ١٩٦٨ كانت أعمال الحفر مستمرة بجوار الحائط الجنوبي ·

احتجاج الهيئة الاسلامية بالقدس

في ١٩٦٩/٧/١١ رفع الشيخ حلمي المحتسب رئيس الهيئة الاسلامية بالقدس مذكرة احتجاج الى ليفي أشكول رئيس حكومة اسرائيل هذا نصها : ـ

ان هذه الحفريات تجري على مشهد من المسلمين وبشكل استفزازي مؤلم · وفي كل ذلك اعتداء صارخ على حقوق المسلمين وقدسية أماكنهم الدينية ·

ولقد سبق أن أعلن المسلمون رأيهم بهذا الأمر · وهو لا يتعدى ما قررته اللجنة الدولية ، وأشير اليه في عدة كتابات وتصريحات بأن ملكية الجدار الغربي وما يحيط به من أبنية هي وقف اسلامي تعود للمسلمين وحدهم ، وليس لليهود أي حق فيها الا الزيارة فقط ·

ان استمرار هذه الحفريات في أرض تملكها الأوقاف الاسلامية واستمرار هذا الهدم للاملاك الاسلامية ومواصلة العمل تحت سور الحرم الشريف بالاسنتاد الى القوة وسلطة الحكم ، يعتبر استمرار للاعتداء على قدسية هذا المكان وتحديا مثيرا لشعور المسلمين وعدم المبالاة بحقوقهم منذ أقدم العصور ·

لهذا فأني أعود وأقدم هذا الاحتجاج بكل شدة معلنا أن المسلمين يحتجون على هذه التصرفات ولا يقبلون بها · آملا أن يوضع حد لها وأن تكونوا عند تصريحاتكم بالمحافظة على الأماكن المقدسة وعدم المساس بها ·

قيم دولي على الآثار في البلاد العربية

عينت منظمة اليونسكو الدكتور كارل برونر قيما على الآثار والمخلفات الثقافية في البلاد العربية ليضع حدا لتعديات اسرائيل على الآثار في الأجزاء التي احتلتها في حرب حزيران سنة ١٩٦٧ وفي ١٩٦٧/١٢/١٢ ـ حضر برنر الى عمان وأخذ يسمع الى الشكايات التي قدمتها دائرة الآثار الاردنية ودائرة الأوقاف وأمانة القدس الربية · وبعد أن أمضى أربعة ايام في عمان يدرس الاعتداءات الاسرائيلية غادرها بعد تقريره بهذا الشأن ·

وقد عقدت منظمة اليونسكو اجتماعا في باريس ناقشت فيه تقرير القيمين خلال شهر حزيران سنة ١٩٦٨ ·

مذكرة الدكتور بول لاب

قدم الدكتور بول لاب مدير مدرسة الآثار الامريكية في القدس مذكرة احتجاج على قيام سلطات اسرائيل بسرقة المخطوطات الأثرية في المناطق العربية المحتلة · وكذلك مواصلة هذه السلطات العبث بالمناطق الاثرية ، هذا نصها :

مقدمة :

من المواثيق والأنظمة التي تتعلق بالمحافظة على الآثار في المناطق التي تقع تحت الاحتلال تلك التوصيات التي أقرها المؤتمر العام لعلماء الآثار في دورته التاسعة التي انعقدت في نيودلهي في ٥ كانون الأول ١٩٥٦ والميثاق الدولي الذي أقرته في المؤتمر الدولي المنعقد في لاهاي سنة ١٩٥٤ لحماية الممتلكات الثقافية في النزاعات المسلحة ·

وتنص المادة (٣٢) من الميثاق الأول على أنه : (في حالة أي نزاع مسلح يقتضي على الدولة التي تحتل أراضي دولة أخرى الامتناع عن القيام بأية حفريات أثرية في المنطقة المحتلة · وفي حالة العثور على أية آثار بمحض الصدفة، خاصة خلال الانشاءات العسكرية ، فأنه يتحتم على الدولة المحتلة اتخاذ جميع الاجراءات الممكنة لحماية الآثار التي يتم اكتشافها والتي ينبغي تسليمها عند انتهاء الاحتلال الى السلطة المختصة في المنطقة التي كانت واقعة تحت الاحتلال مع جميع الوثائق المتعلقة بذلك) ·

ويتضمن الميثاق الثاني عددا من الشروط الاخرى التي لا يتسع هذا المجال لسردها ·وكلها تنطبق على الأوضاع التي سيرد ذكرها ، وستتم الاشارة الى أي شرط من هذه الشروط في سياق البحث · وعلى العموم فان الميثاق يمنع ازالة الممتلكات الأثرية بدون اشراف مندوب معتمد من منظمة اليونسكو · ويشترط مساعدة أولئك الموظفين الذين كانوا مسؤولين عن الممتلكات لمواصلة المحافظة عليها أثناء الاحتلال ·

وفيما تعتبر الوثيقة الأولى بمثابة مجموعة من التوصيات فان الوثيقة الثانية تعتبر نظاما وميثاقا ملزما لجميع الدول الموقعة عليه (٢) ·

حفريات الحرم القدسي

ان الحفريات التي جرت في القسمين الجنوبي والغربي لحائط الحرم الشريف تستدعي اهتماما خاصا ، ذلك لأن تاريخ المنطقة التي شملتها الحفريات يعتبر ذروة في تاريخ التقاليد الاسلامية والمسيحية واليهودية بالنسبة لاي موقع آخر في العالم · والحفريات البريطانية ـ الافرنسية التي جرت بجوار هذه المنطقة بين سنتي ١٩٦١ ـ ١٩٦٢ لم تسمح لها دائرة الأوقاف الاسلامية بالاقتراب من جدار الحرم · وقد علمت من المفوض العام لمنظمة اليونسكو أن اعتراض دائرة الأوقاف الاسلامية على الحفريات التي أجراها الدكتور مازر تحت رعاية الجامعة العبرية كانت أشد كثيرا من الاعتراضات على الاقتراحات البريطانية ـ الافرنسية · لكن هذه الاعتراضات لم تصل الى حد المجابهة المفتوحة تجنبا للانتقام من قبل السلطات الاسرائيلية ·

وقد ألمحت جريدة (البوست) الاسرائيلية الى اعتراضات العرب ضد الحفريات ، لكن مدير الآثار الاسرائيلي اعتبر القسم العربي من القدس مندمجا بالقسم الغربي وأنه يشكل وحدة أثرية تخضع لقانون الآثار الاسرائيلي · وقد استعمل صلاحيته بموجب هذا القانون لمنع بعض اليهود المتدينين من اجراء أية حفريات بدون تصريح وبأساليب غير علمية ·

ومما ينبغي تأكيده وجود اعتراضات شديدة من قبل الهيئات الأثرية ضد هذه الحفريات · وقد اعترف مدير الآثار في الجامعة العبرية بأن المسؤول عن الحفريات لا يملك الخبرة للحفر تحت الجدار وأنه قد يسفر عن تدمير موجودات أثرية عظيمة القيمة لاصحاب الأديان الثلاثة ·

(٢) لقد اثبت النص الكامل لهذه المذكرة في كتابي (مأساة بيت المقدس) ص ١٧٧ ـ ١٩٤ ·

وتستشعر الهيئات العلمية الأثرية غضبا شديدا لاجراء هذه الحفريات دون تشاور مسبق مع البعثة التي قامت بالحفريات السابقة · مع العلم بأن بعض الحفريات الجارية قد شملت الخنادق التي فتحتها البعثة البريطانية ـ الافرنسية ـ وقد بلغ بهؤلاء الاسرائيليين الحد حتى أنهم دعوا الأب رولان ديفو لمشاهدة حفرياتهم ، رغم أنه لم يسمع بتاتا في تاريخ الحفريات الأثرية العلمية وأوساطها ان قام منقب بحفر مكان سبق لمنقب آخر الحفر فيه دون اذن صريح ـ ويمكن التأكيد بأن الأشخاص الذين قاموا بأعمال الحفر كانوا ما بين ٢٠ ـ ٢٥ عاملا مأجورا وعددا من المتطوعين والطلاب من الجامعة العبرية وأنهم مارسوا العمل تحت اشراف موظفين غير مؤهلين بتاتا ·

وبناء على كل ذلك يتضح أن الحفريات قد جرت في أرض وقفية ضد توصيات المؤتمر السابق الذكر وضد مصالح المسلمين والمسيحيين ، وحتى ضد مصلحة قسم من الطائفة اليهودية ، وأيضا ضد القواعد العلمية والأصول الأثرية المعتمدة من قبل الهيئات العلمية ·

١٩٦٨/٧/١٥

وفي الاسبوع الماضي أعلن البروفسور بنيامين مازار ـ من الجامعة العبرية عن العثور على قطع صغيرة يعتقد أنها من آثار الهيكل الثاني ·

١٩٦٨/٧/٢١

وجد مازار أسرجة من الفخار في طبقة العصر البزنطي من القرن الرابع الميلادي وعلى أحدها رسمت المنارة السباعية التي أصبحت خاصة بالتقاليد اليهودية · وظهرت على الغنائم التي حملها جنود تيطس الى روما بعد تخريب الهيكل سنة ٧٠م لتعرض في يوم الاحتفال بهذا النصر المؤزر · ولكن وجد مع هذا السراج أسرجة أخرى زينت برسوم تشبه سنابل القمح من النوع الذي ورثه المسلمون عن صناع الروم قبلهم في هذه البلاد ·

تدخل ايبان في الحائط تحت الاستجواب ـ ١٩٦٨/٧/٢٦

طلبت حركة المركز الحر الأذن لتسجل استجوابا على قائمة أعمال الكنيست بشأن توقيف الهدم الجاري على الأبنية المحيطة بالحائط الغربي ، بناء على طلب وزير الخارجية وقد أوضح المستر اليعازر شوستاك استجوابه بتضمينه تقريرا اخباريا يفيد أنه بعد أن أخليت الأبنية موضوع البحث وهي المجاورة لباب المغاربة وبعد أن تم تعويض أصحابها ابتدأ الهدم وفي الاسبوع الماضي وبعد أن كتب وزير الخارجية الى وزير الأديان يطلب اليه توقيف الأعمال خشية أن يكون بينها بعض الأبنية ذات القيمة الأثرية طلب وزير الاديان من العمال أن يستبعدوا الآلات · وقد أوضحت مصادر وزارة الخارجية في الليلة الماضية ٧/٢٥ أن المستر ايبان طلب أن يتوقف العمل لمدة محدودة للبحث عما اذا كانت المنطقة التي يجري فيها العمل تقع ضمن المناطق المشمولة بالاتفاقيات الدولية المتعلقة بحفظ المواقع التاريخية والذي يبدو أن المسألة ستكون موضع اهتمام اللجنة الوزارية المختصة · ويعاد الى الأذهان أن ممثلي اليونسكو في اسرائيل والاردن موجودون للمحافظة على المواقع التاريخية منذ حرب حزيران ·

نشرت جريدة معاريف الاسرائيلية بتاريخ ١٩٦٩/٩/١٧ أنهم اكتشفوا عشية رأس السنة العبرية الجديدة تحت التلة الرملية المؤدية الى باب المغاربة ـ البوابة الغربية التي كانت المدخل الرئيسي للهيكل للقادمين من المدينة العليا · وعند ازالة هذه التلة سيعودون لاستخدام البوابة الكبيرة كباب للدخول الى هيكل سليمان ·

أذاعوا أنهم كشفوا شارعا مبلطا يسير بمحاذاة السور الجنوبي للمسجد الأقصى وأن الباب المنفرد في هذا السور هو باب خلده الذي كان يؤدي الى الهيكل مع أن باب خلده مذكور بأنه الباب الجنوبي لهيكل هرودس ·

نقلت جريدة يديعوت في عددها الصادر في ١٩٧٠/١٠/٢٨ تصريحا لوزير الأديان قال فيه : ان وزارة الأديان الاسرائيلية تسعى بواسطة

عمليات الحفر التي تجريها للكشف الكامل عن حائط المبكى الذي يهدف الى اعادة هذه الدرة الثمينة الى سابق عهدها · وما اجراءات الحفر التي تلجأ اليها الا عمليات مقدسة تهدف الكشف عن الحائط وازالة المباني الملاصقة له رغم كل العراقيل التي تقف في الطريق ·

نشرت جريدة معاريف الاسرائيلية بتاريخ ١٩٧٠/١٢/٧ خبرا خطيرا جاء فيه ما يلي :

ألصقت يوم أمس في شوارع القدس منشورات تحذر من انهيار حائط المبكى اذا ما استمرت الحفريات الأثرية بالقرب منه · ودعا الموقعون على تلك المنشورات اليهود المخلصين لمعارضة مبادرة الحفريات واحباطها وأكدوا أن برنامج وضع الحائط الجنوبي وقسم من الحائط الغربي حتى باب المغاربة تحت تصرف وسلطة المنقبين عن الآثار ، يمس بقدسية المكان ويمنع ويحول دون وصول المصلين · ويعرض حائط المبكى الى المخاطر (انتهى الخبر) ·

والحائط الجنوبي المشار اليه آنفا ، يشكل جزءا من الحائط الجنوبي للمسجد الأقصى المبارك ، كما يشكل الحائط الغربي ، قسما من حائط الحرم الشريف والذي يضم المتحف الاسلامي والمأذنة الفخرية وعمارة المتحف الاسلامي كلها للانهيار ، وسيؤدي انهيارها لتنفيذ مرحلة جديدة من التوسع اليهودي في سبيل انشاء هيكلهم الذي يحلمون به ·

وبتاريخ ١٩٧١/١/٥ نشرت جريدة (يديعوت) الاسرائيلية خبرا أكثر خطورة مما سبق ، أوردت فيه أن الحفريات عند الزاوية الغربية الجنوبية للحرم (جبل البيت كما يسمونه) قد وصلت الى عمق (٣٥) مترا عن سطح الأرض ·

هآرتس ١٩٧١/٢/٢٢ :

علم أن واجهة حائط المبكى الممتدة اليوم على طول (٦٠) مترا ستوسع قريبا بضم عشرة أمتار اليها بعد تنفيذ مشروع ازالة خرائب المباني الواقعة تحت باب المغاربة المؤدي الى الحرم القدسي · وأشار الناطق بلسان وزارة الأديان الذي أفضى بهذا النبأ بأنه يوجد قرار مبدئي بهذا الشأن · وقد طلب الى دائرة الأشغال العامة تقديم اقتراحاتها لازالة أنقاض مباني دار أبو السعود وبناء جسر يؤدي من ساحة حائط المبكى الى الحرم القدسي عبر باب المغاربة · وستظهر مساحة واسعة عند ازالة الأنقاض التي تشكل الان ستارا يحجز الوصول الى حائط المبكى · وفهم أن كافة العمليات من ازالة أنقاض وانشاء مباني جديدة سنيجري تنفيذها باشراف خبراء بعثة الآثار التي تقوم بحفرياتها في الجزء الجنوبي لأسوار الحرم القدسي بادارة البروفسور مازار ·

معاريف ١٩٧١/٢/٢٢ :

قررت لجنة اعداد وتنسيق الحفريات داخل القدس القديمة الطلب بعدم اقامة مباني فوق بقايا السور الذي تم اكتشافه في الحي اليهودي ويرجع تاريخه الى عهد الهيكل الأول · وقد أرسلت اللجنة المذكورة كتبا الى المؤسسات المسئولة طالبا تأمين المحافظة على هذا السور ·

استمرار الحفريات حول الحرم القدسي الشريف

رغم قرار منظمة اليونسكو في ١٩٦٩/١٠/١٠ الذي ندد بأعمال الحفريات في المناطق المحتلة ، وخاصة القدس والذي يدعو سلطات الاحتلال الاسرائيلي الامتناع كليا عن الحفريات وخاصة حول الحرم القدسي · رغم ذلك فسلطات الاحتلال الاسرائيلي ما زالت تواصل حفرياتها ، فقد ذكرت جريدة (يديعوت) في عددها الصادر بتاريخ ١٩٧١/١/٥ أن هذه الحفريات وصلت قرب الزاوية الجنوبية الغربية للحرم الى عمق (٣٥) مترا ، وكتبت نفس الجريدة في عددها الصادر بتاريخ ١٩٧١/٣/١٥ أن هذه الحفريات توسعت وامتدت الى بقعة تقرب من (٨) أمتار من مدرسة بنات الأقصى العربية ، وربما يكون هذا الامتداد ، توطئة لالحاق تشعيت في المدرسة تمهيدا لهدمها ، وقد اتخذ قرار بهدمها فعلا ·

نشرت جريدة (عل همشمار) الصادرة في

١٩٧١/٧/٧ كلاما صريحا لدافيد شانيري أزاح الستار عن أهداف الصهاينة من الحفريات الان وبعد مضي أكثر من أربع سنين على تحرير القدس نود أن نوجه نداء الى الدوائر والهيئات ذات الصلاحيات بأن الوقت قد حان كي تجري عمليات الكشف عن حائط المبكى على المكشوف وفي وضح النهار ـ وليس فقط في أعماق الأرض ويجب مصادرة جميع البيوت الملاصقة لحائط المبكى وعلى امتداده وعلى بعد عشرين مترا على الاقل ويجب تنفيذ الخطة كما تم في حي المغاربة المقابل للمبكى في حزيران ١٩٦٧ · ويجب أن نقوم بحفريات مماثلة في الحائطين الشرقي والشمالي حتى نتمكن من رؤية جميع الأبواب المؤدية الى جبل البيت تماما كما حصل لساحة المبكى عند ازالة المباني العربية الملاصقة لسور الحرم في الحي المغربي رغم الصعوبات والضجة التي قامت في حينه بعنف ·

وفي جريدة معاريف الصادرة في ١٩٧١/١٢/١٤ أنذرت السلطات سكان خمسة منازل عربية بسرعة اخلائها فورا بسبب تصدعها من جراء الحفريات التي تجريها وزارة الأديان تحت هذه المنازل وعلى امتداد ٢٠٠ متر من الحائط الغربي للحرم ·

ومن أبرز المنشئات التاريخية المهددة بالخراب حي باب السلسله وحي باب الحديد وحي باب الحبس (حي المجلس الاسلامي) ضريح الملك حسين وضريح الزعيم الاسلامي مولاي محمد علي ومسجد الأميرة خاتون وجامع المدرسة العثمانية فوق باب المطهرة وجامع الخليلي وزاوية ومئذنة قايتباي وسوق القطانين ·

نشرت جريدة دافار في ١٩٧١/١٢/١٦ أنه لا يمكن أن نقرر وقف عمليات الحفر الى الأبد · ويجب كشف طول حائط المبكى كاملا · وطول هذا الحائط ، كما تحدده وزارة الأديان هو ٤٨٥ مترا ـ تم حتى الان كشف ما يقارب ثلاثمائة منها ·

تقول جريدة معاريف في ١٩٧١/١٢/١٤ ان هذه الحفريات تقوم بها وزارة الأديان على طول الحائط الشمالي من المبكى ويجري تنفيذها دون رقابة هندسية الأمر الذي تسبب في تصدعها وهدد بانهيارها وان عائلتين عربيتين من العائلات الخمس قد تم اجلاؤهما في اليومين الماضيين ·

زار هذه الحفريات المستشار الخاص والخبير الدولي بالحفريات والآثار الأستاذ ريموند لومير الاستاذ في جامعة لوفان (بلجيكا) وأمين عام المجلس الدولي للمنشئات التاريخية الذي انتدبه المدير العام لمنظمة اليونسكو لزيارة القدس وتقديم تقرير عن الاتهامات التي تضمنتها الشكوى الاردنية ضد سلطات الاحتلال الاسرائيلي بما تقوم به من مخالفات عن طريق الحفريات والهدم والتغيير لمعالم الأماكن الحضارية والتاريخية في مدينة القدس وقد جاء في تقرير هذا المستشار بالنسبة للحفريات في المنطقة التي تصدعت الأبنية فوقها : (وقد قمت من ناحيتي بفحص الأبنية فوق المنطقة التي جرت فيها عملية الحفريات ولم أشاهد هناك أي أثر لهبوط أو تشقق حديث لتلك المباني) ·

(وهذه الممرات الأرضية التي يبلغ طولها عشرين مترا أسندت على أنابيب معدنية ومع ذلك فأنه من المؤكد أن هذا الاجراء هو حل مؤقت· ولا بد من اهتمام بالغ لتثبيت ذلك بشكل نهائي اذا ما أريد تلافي الازعاجات التي تؤثر على استقرار واستتباب الابنية المقامة عليها) ·

(ان وجود القلق لدى الملاكين لهذه الأبنيه حول هذا الموضوع هو أمر مفهوم ومبرر · ويستحسن أن يطمأنوا حول هذه النقطة · ولا يشكل تنفيذ هذه الأعمال الضرورية لتدعيم الأبنية مشاكل كبيرة من ناحية فنية ولكن يعتمد كل ذلك العناية والحرص الذي يجب أن يرافقا تحقيق ذلك) ·

(وفيما يتعلق بالممرات (سراديب) التي تجري فيها الحفريات والتي يقوم فوق بعضها عدد من أشهر الأبنية الاسلامية في القدس منها سوق القطانين وبعض المساجد والأضرحة الشهيرة والمدارس والمحاكم وغيرها ، فهي من

الأبنية القوية البنيان ـ وباستثناء الشقوق الناتجة عن الهزات الأرضية فانها كلها بحالة سليمة · ولقد حفرت في أمكنة غير ملاصقة لجدار الحرم أي أن الحفريات في خنادق ترابية وكانت الأقواس غير مرتكزة ولا متصلة بجدار الحرم · وهذه المسافة التي لا تزيد على عشرين مترا دعمت بأنابيب معدنية خشية انهيارها ويمكن مشاهدة جزء منها من باب الحديد) ·

هذا ما سجله الخبير الأجنبي ولكنه ما كاد يغادر البلاد حتى استؤنف الحفر لا سيما في ١٩٧١/١٢/٢١ فحصلت التصدعات والشقوق التي دعت الى انذار خمس عائلات باخلاء منازلها· وبالفعل فقد تم اخلاء عائلتين · ولما كانت هذه الحفريات غير قانونية زيادة عما تلحقه من الضرر بالمنتفعين من العرب فأن الحق والواجب يدعوان لايقافها حالا ·

وأذاعوا أنهم وجدا قطعا مكتوبة من سفر أشعيا وقطعا من الكاروبيهم الملائكة المجنحة التي كانت توضع في الهيكل والطشت الذي كان يتوضأ فيه الكاهن ولكن هل وجود هذه القطع من الانتيكات يبرر عزمهم على هدم صروح الحضارة القائمة في الحرم الشريف لانها ليست يهودية ـ أي يهدمون حضارة أعطاها الزمن والفن قيمتها ـ ليقيموا حضارة جديدة طارئة · على العالم الراقي أن يحول دون حدوث هذه الكارثة ·

ولقد فرح البروفسور بنيامين مازار مدير الحفرية باسم الجامة العبرية عندما عثر على درجات تؤدي من الشارع الى الباب المزدوج Double Gate الذي يحلو له أن يظنه باب خلدة الذي كان يتألف ممشيين ـ يمشي في أحدهما الحاخام ويمشي في الاخر جمهور المصلين حتى يصلوا الى الهيكل · وهو يزعم أن هذا المدخل هو الأقصى التحتاني وزاد فرحه عندما وجد كسرة حجر كتب عليها بالعبرية كلمة قربان ·

وفي تقريره عن حفرياته (٣) أن الجدار الجنوبي للاقصى فوق الصخر الطبيعي شرقا وغربا هو بناء اسلامي ،ولكنما تحت هذا المستوى في منطقة الحفر العميق ـ يسبق الفتح العربي ، وقال ان تحت الأنقاض ـ أي تحت البناء الاسلامي ٣٤ مدماكا ـ منها ١٢ من عصر هرودس ثم تأتي ١٩ مدماكا من عصر الرومان ، أسوار مدينة ايليا كابتولينا وهنالك بضعة مداميك من العصر البزنطي وهي التي عاصرت الفتح الفارسي سنة ٦١٤ م ·

ودار الحفر حول الزاوية الجنوبية الغربية حيث كان يقوم ما يعرف بقوس روبنسون الذي سمي باسم مكتشفه Robenson وكان هذا المكتشف يظن أنه نهاية لعدة أقواس كانت تبدأ في المدينة العليا في تل صهيون ـ حيث يقوم مقام النبي داود والقلعة وتقطع الوادي حتى تصل الى جبل الموريا في الشرق حيث كان الهيكل قائما ·

وعلى هذه الجسور والقناطر كانت الطريق التي يسلكها هرودس فتوفر الهبوط الى الوادي والصعود الى جبل الهيكل ·

ولكن أعظم فرح غمر قلبه عندما وصل الحفر الى المدماك الخامس عشر تحت قوس روبنسون حيث عثر على كتابة عبرية من أيام الامبراطور جوليان ـ الذي يسميه تاريخ الكنيسة المسيحية بالجاحد ـ بسبب اضطهاده للمسيحيين من سكان الامبراطورية وقد أحرقت في زمانه عدة كنائس مسيحية ولا سيما في عسقلان ودمشق · وقد مات سنة ٣٦٣ م · والكتابة مأخوذة من سفر أشعيا ٦٦ : ١٤ « كانسان تعزيه أمه · هكذا أعزيكم أنا في أورشليم تعزون · فترون وتفرح قلوبكم وتزدهر عظامكم كالعشب وتعرف يد الرب عند عبيده ويحنق على أعدائه » ·

(٣) B. Mazar : The Excavation in the old city of Jerusalem Near the Temple Mount 1969 — 1970.
وقد اصدرته سنة ١٩٧١ الجمعية الاثرية الاسرائيلية .

وهي عبارات تعبر عما يخالج نفوس العائدين الى القدس ليبدأوا تعمير الهيكل ·

القصور العربية

ولكن فرحه أخذ يتلاشى عندما اكتشف ثلاثة قصور أموية استمرت مسكونة من قبل أمراء القدس من العهد الأموي والعباسي والفاطمي حتى نشبت الحربين بين الفاطميين والسلاجقة امتدت خمس سنوات وأضعفت البلاد بحيث أصبحت لقمة سائغة للصليبيين فلم يجدوا صعوبة في اجتياح هذه الديار · وزاد الطين بلة عندما اجتاح البلاد زلزال سنة ١٠٣٣م· في أيام الخليفة الفاطمي الظاهر ـ ذلك الزلزال الذي صدع أبنية الحرم الشريف وقضت على القصور الأموية الثلاثة · لقد حمل الوازع الديني الفاطميين والسلاجقة على اصلاح المساجد ولكن القصور بقيت خرابا · ومما تبقى بعد هذا الزلزال غرفة صغيرة كانت مصلى ضمن مقبرة واسعة · ولقد ضاعت قبور هذه المقبرة عندما هدمها الصليبيون وبنوا بحجارتها سورهم · ولقد اكتشفت ناصية قبر كتب عليها اسم مسلم من سنة ١٠٠٢م · وقد يكون المصلى والقبور حوله من عصر السلاجقة الذين فتحوا القدس سنة ١٠٧١م ولقد وجدت كتابات كوفية من النوع الذي يكتب عادة على نواصي القبور · منها بسم الله الرحمن الرحيم هو الله الذي لا اله الا هو الحي القيوم ··· باقي آية الكرسي (٤) ·

وكان قد أعيد بناء السور الصليبي سنة ١١٨٢ أي قبل استرجاع القدس من قبل صلاح الدين بخمس سنين سنة ١١٨٧· وبقي السور قائما حتى أمر المعظم الأيوبي سنة ١٢١٩ م · بهدمه خوفا من رجوع الصليبيين · واستمر الخراب في سور القدس حتى أمر ببناء الأسوار السلطان سليمان القانوني وامتدت يد الاصلاح العثمانية حتى شملت جميع أبنية الحرم الشريف ·

وتوسعت حفريات اليهود في سنة ١٩٧٠ حتى اكتشفت ثلاثة قصور أموية وتولى الحفر فيها الاستاذ ميير بن دوف المساعد للبروفسور مازار· وقد جاء في تقريره (٥) :

اتضح منذ ابتداء الحفر بجوار الزاويةالجنوبية الغربية لسور الحرم الشريف (٦) ان الحاكورة التي يقع فيها الحفر بين جدار الأقصى والسور العثماني كانت تضم بناية واسعة مساحتها نحو سبعة دونمات ونصف الدونم · وباتساع رقعة الحفر كشفت بنايات أخرى لا تقل في اتساعها عن هذه البناية · وظهر فيما بعد أنهما تكونان مبنى واحدا ويمتد حتى أسفل مدرسة البنات التي بنيت في العهد الاردني في حي المغاربة (٧) ·

المبنيان الثاني والثالث بنيا على طراز أموي واحد بحيث كان لكل منهما ساحة مكشوفة في الوسط تحيط بها أروقة مسقوفة مع سلسلة من القاعات تمتد على طول الجداران من الجهات الاربع ·

هذه الأبنية في شكلها طبق الأصل لما وجد في قصور الاردن (الحرانة) وفلسطين (خربة المفجر وخربة المنية) وسوريا والعراق (قصر الحير) كما وصفها كرزويل في كتابه « العمارة الاسلامية الاولى » وكان لكل قصر منها أبراج في الزوايا معظمها مستدير · وفي أكثرها أضيفت أبراج في منتصف الأسوار الخارجية وغالبا ما تكون أنصاف دائرية · ولم يسبق ان اكتشفت مثل هذه الأبراج في القدس قبل هذا الاكتشاف، وتفسير ذلك أن أسوار القصور القدسية كانت

(٤) ولقد ورد في تاريخ الاخشيديين ان ملوكهم الاربعة أوصوا ان يدفنوا في تربة بيت المقدس وقد نفذت وصاياهم . وعبثا حاول الباحثون العثور على قبور هؤلاء الملوك بعد ان طمس الصليبيون ما تبقى من الابنية الاسلامية في جنوب الاقصى . لعل هذا الاكتشاف يزيل شيئا من هذا الغموض ... انني لا استبعد ان تكون هذه المقبرة هي مقبرة عظماء المسلمين لم تسلم كما سلمت المقبرة اليوسفية خلف السور الشرقي ـ خلف باب الرحمة .

(٥) Meir Ben - Dove : The Omayyad Structures Near the Temple Mount 1969 — 1970.

(٦) هم يسمونه جبل البيت .

(٧) هدمها اليهود فيما بعد .

ملاصقة لأسوار المدينة فلم تكن هناك فائدة من وجود أبراج خاصة فيها ٠

وقد تهدمت أسوار هذه القصور ولم يبق منها فوق سطح الأرض سوى أجزاء قليلة الارتفاع ٠ أما تحت الأنقاض فقد بقي منها ما يصل الى أربعة أمتار ، ويظهر أن هذه البنايات جزئت ببناء فواصل لتحول الى مساكن شخصية فيما بعد ولا سيما في العهد العباسي (القرن التاسع) وقد تراكمت الأنقاض فوق المستوى الأموي نحو المتر حتى قامت فوقها المصطبة العباسية ولم يقم سكان البيوت الجديدة باصلاح قنوات الماء التي تصب في الآبار ولا مجاري المياه القذرة ٠

كانت القدس قد تعرضت لخراب واسع أثناء الفتح الفارسي سنة ٦١٤م ٠ واستمر حتى الفتح العربي سنة ٦٣٨م ٠ وبدوافع مختلفة قام عبد الملك بن مروان الخليفة الأموي الخامس (٦٨٥ ـ ٧٠٥ م) باعادة بناء القدس وتجميلها بالمساجد والقصور ٠ واستمر ابنه الوليد (٧٠٥ ـ ٧١٥م) ينفذ مخططات أبيه وانجاز مشروعاته حتى تجاوزها في الاتساع فعاد الى القدس المجد الذي كانت عليه أيام هرودس الكبير ٠ وقد دخلت حجارة هرودس في الأبنية الأموية بعد أن نحتت على الطراز العربي كما نشاهد في أبنية الاقصى وقبة الصخرة ـ وكثيرا ما كان البناء الأموي يبني حسب مخططات عصر هرودس دون أن يعرف ذلك البناء الاسلامي ٠

ومن أهم ما تركه البناء العربي في هذه المنطقة الشارع الفاصل بين الحرم وبين القصور وكان مبلطا ببلاط ناعم ابعاد البلاط الواحدة ٢٥ × ٣٥ سم و٦٠ × ٧٠ سم وكان معدل عرض الشارع ٤٣٠ سم ٠

المبنى الثاني :

انه أوسع بناء وجد في هذه الحفريات وكانت أبعاده ٤٨ × ٩٦ مترا أي يكاد يكون باتساع المسجد الأقصى الحالي وكان سمك جداره الخارجي نحو ثلاثة أمتار وكانت ساحته قد بلطت ببلاط أبعاده ٣٠ × ٤٠ سم و٦٠ × ٧٠ سم ٠

وكانت المياه تنصرف في مصارف الى آبار يتسع الواحد منها لثمان مئة متر مكعب من الماء ٠ وكان يحيط بالساحة من الجهات الأربع أروقة مسقوفة حسب المخطط الأموي المألوف في جميع أبنيتهم ٠ وعلى الأعمدة كانت السقوف التي تسقف الأروقة ومن خلفها القاعات وكانت القاعات تمتد حتى تلاصق الأسوار ٠ ومن القاعات تصعد أدراج الى الطبقات العليا ٠ وبلغ اتساع قاعات الجنوب والشرق ١٧ مترا بينما هي في الشمالي والغربي ٢٠ مترا ٠ وبين القاعات بنيت فواصل ٠ وقد بنيت الأسوار مزدوجة ـ واجهة خارجية من حجر منحوت وواجهة داخلية وملىء الفراغ بينهما بالطين الأموي القوي الحاصل من جبل التراب بالتبن وقامت الأسوار على قواعد كانت تنزل في الأرض نحو تسعة أمتار ٠ وعلى الأرض من الداخل أقيمت المنافع البيتية كالمطابخ ودورات المياه والحمامات ٠

ومن أهم المخلفات التي جمعها الحفارون قطع من الرخام الأبيض والأعمدة والتيجان وشعريات الشبابيك وقطع الدرابزين كما وجد على بعض الحجارة أجزاء من الرسوم الملونة لأشكال هندسية وزخارف نباتية ـ وكلها من صناعة الأمويين ٠ وأهم من ذلك الحمامات كالتي وجدت في قصور خربة المفجر وخربة المنية وكانت هذه الحمامات تقام في الجهات الغربية المقابلة لمداخلها الشرقية٠

يظهر أن خراب هذا المبنى نتج عن زلزال سنة ٧٤٧ ـ ٧٤٨م ٠ ولقد رمم هذا البناء في القرن الثامن أو التاسع وقد رفعت الأنقاض المتراكمة أرضية البناء الجديد نحو المتر ٠ وتعرض هذا البناء لخراب أفظع في العهد الفاطمي وفي الحكم الصليبي كما سيأتي ٠

المبنى الثالث :

جلت الحفريات في غربي المبنى الثاني عن مبنى ثالث قام على أساسه من الجنوب السور العثماني لمدينة القدس في القرن السادس عشر ولقد بني جداره الشمالي من حجارة مدقوقة دقا ناعما أصبحنا نرى منه فوق الأرض ما ارتفاعه نحو المترين ٠ ولاحد الأبواب عتبة وخوخة (تقسم الباب الى نصف ارتفاعه) وبني جداره الشرقي

من حجارة ضخمة يزن بعضها ٣ ـ ٥ أطنان لم يبق منها الا القواعد · وكان مدخله من الشارع الغربي يمر بين المبنى والجدار الغربي لهذا المبنى الثالث يقع تحت باب المغاربة للمدينة Dungan Gate ومن المنتظر أن يكون شكله كشكل الباب الشمالي في الطراز الأموي ·

وان ما اكتشف منه الى الان لم يوضح أنه كان فيه أروقة ولا قاعات كما تأكد وجود ذلك في المبنى الثاني على حين أن بلاط هذا المبنى كان كبلاط المبنى الثاني بالضبط · وفي بعض القاعات وجدت الفسيفساء ذات الاتساع ٥و٢ × ٥و٢ سم وفي المبنى مصارف ومجاري · غير أن جدرانه أقل ضخامة مما كانت في جدران الثاني بحيث لا يتجاوز سمكها ١٢٠ سم · وكان الوجه الخارجي مبنيا من حجارة أبعادها ٨٠ × ١٢٠ سم وحجارة الصف الداخلي من حجارة أصغر ٢٥ × ٣٥ سم · وبين الصفين يملأ الفراغ الطين الأموي المعروف· وقد بنيت الجدران على أسس عمقها ثلاثة أمتار· ولقد جمعت من خنادق الحفر كميات من شقف الفخار والنقود من القرنين الثاني عشر والثالث عشر مما ساعد على كتابة معرفة تاريخه · ويعود سبب تخريبه الى أعمال الصليبيين عندما أرادوا أن يحيطوا المنطقة بسور فامتدت أيديهم الى حجارته · وقد ابتدأ السور الصليبي من الزاوية الجنوبية الغربية واتجه شرقا حتى برج كبريت قرب الموضع المعروف ببيت محسي Batei Mahse بعد أن اجتاز فوق الجدار الجنوبي المهدوم ·

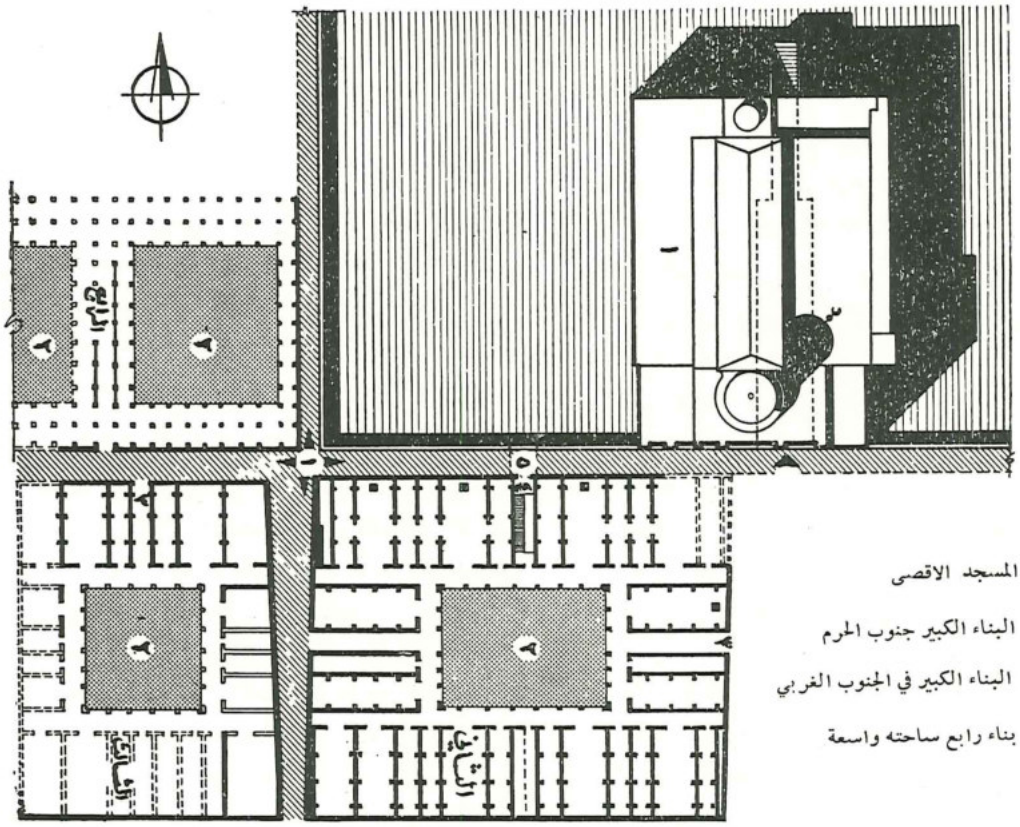

الاول : المسجد الاقصى

الثاني : البناء الكبير جنوب الحرم

الثالث : البناء الكبير في الجنوب الغربي

الرابع : بناء رابع ساحته واسعة

١ ـ شوارع مبلطة بين الابنية والحرم · ٢ ـ ساحات مبلطة في المباني الثلاثة ·

٣ ـ البوابة الشرقية للمبنى الثاني · ٤ ـ بوابة الخروج من المبنى الثاني الى الشارع

٥ ـ بقايا جسر يجمع بين المبنى الثاني والحرم ٦ ـ الباب المزدوج تحت المسجد الاقصى ·

المبنى الرابع :

للشمال من المبنى الثالث وللغرب من السور الغربي اكتشف مبنى أموي رابع ، وظهر أن جداريه الشرقي والجنوبي بنيا من حجارة ضخمة بما يقارب حجارة عصر هرودس وأيام خراب الهيكل الثاني ، وهو يختلف في جدرانه عن جدران سابقيه من حيث أنها بنيت من صف واحد من الحجارة وقد دقت حجارة الوجهين دقاقة ناعمة وطلي الوجه الداخلي بالقصارة · وما تبقى من أوصافه في البلاط والفسيفساء والطين وطراز البناء فانه متشابه تمام التشابه لسابقيه ويمتاز بما فيه من قطع الزخارف ذات الألوان الحمراء والزرقاء والسوداء والخضراء وبفصوص زجاجية أبعادها نصف في نصف سم كانت ترصع سقفا أو واجهة داخلية ولا تزال هذه القطع لاصقة بالطين · ومع أن مخططه أموي صرف فان البعض يجعله من بناء العباسيين في القرن التاسع ·

استنتاجات :

هكذا نستطيع أن نستنتج أن حركة العمران عادت الى القدس في العصر الأموي بعد أن خربت في نهاية عصر الهرادسة على أيدي الرومان ، أعاد الأمويون بناء الأسوار المحيطة بالمدينة وأقيمت أبنية فخمة ضمنها ومع أننا لم نكشف حتى اليوم سوى ثلاثة أبنية فأن الحفريات القادمة ستكشف أبنية أخرى ·

وأصبح من الضروري أن نعيد النظر في قوس ولسون ـ قرب باب السلسلة ـ والأقواس الاخرى الملاصقة لسور الحرم التي قال عنها المكتشف وارن أنها من بناء القرن السادس ونحن نميل الى أنها من عمل الامويين وذلك من دراسة طراز البناء ودق الحجارة والقصارة فأنها كلها أموية وكل الدلائل تشير الى أن المبنى الثاني كان لأحد الخلفاء الأمويين · كما كانت أبنية غيره تلاصق الحرم من الجنوب مخصصة لرجال الدولة والقومة على المسجد ·

ذكر المؤرخ الجغرافي « لي استرانج » Le Strange أن اسم باب البلاط في سور القدس في عهد الأمويين مأخوذ من كلمة «بلاتيوم» أي القصر باللغة اللاتينية · ولقد ذكر المقدسي في كتابه « أحسن التقاسيم لمعرفة الأقاليم » أن باب البلاط أو باب القصر العظيم كان في الجنوب الشرقي من الحرم من المدينة وكان يؤدي الى القصر العظيم ·

وتشير المصادر العربية الى وجود دار الاخماس في الجنوب من الحرم ـ وقد يكون المبنى الثاني ، فاذا صدق هذا الاستنتاج فأن عمال الخليفة كانوا يسكنون في الطابق الأرضي من القصر وكانوا يدخلون الى الحرم من الباب المزدوج ، وقد يكون ذلك منطبقا أيضا على المبنى الثالث كما وردت الاشارة الى ذلك في جنيزة القاهرة (٨) وكان المبنيان متلاصقين ·

أما المبنى الرابع فقد يكون مسجدا بالنسبة للغرفة التي وجدت فيه مستعملة كمصلى بدلالة المحراب من جهة القبلة ·

يذكر المقدسي في القرن العاشر وصفا لأسوار القدس وأبوابها ويذكر منها باب الوليد ، وقد ذكره بهذا الاسم مؤرخ عربي آخر هو ابن عبد ربه على حين أن مجير الدين لم يذكره في القرن الخامس عشر ، أما لي سترانج فيجعل باب الوليد في الشمال الغربي من السور ، ولم يذكر المصدر الذي اعتمده في هذا التعيين ، وهو الباب الوحيد الذي ألحق باسم بانيه ويجب أن يكون في السور الجنوبي على الجسر القادم من المبنى الثاني (شكل ١ : ٥) اذا كان الوليد قد بناه حقيقة · وقد بقي هذا الجسر أو الجناح صالحا للمرور حتى القرن العاشر ، ثم تنوسي أو تم تخريبه فلم يذكره أي مرجع بعد هذا التاريخ ·

(٨) الجنيزة حفرة كالقبر تلقى فيها الكتابات الدينية حتى تبلى من ذاتها ·

وهكذا يمكن اعتبار عبد الملك بن مروان الروح التي حركت الاتجاه نحو أهمية القدس وعمل على اعادة عمرانها كأحد مراكز دولته العظيمة فبنى قبة الصخرة وشرع في بناء المسجد الأقصى وأتمه ابنه الوليد كما بنى الوليد المبنى الثاني أو القصر الجنوبي وما جاوره من الأبنية الاخرى كما أمر بتبليط الشارع وأضاف الجغرافي العربي « اليعقوبي » في القرن التاسع سببا في بناء قبة الصخرة فوق الأسباب السياسية والاجتماعية سببا فنيا قوميا وهو أن تطغى قبة الصخرة على عظمة قبة القيامة .

ان سقوط الأسرة الاموية ومجيء الأسرة العباسية قد قطع الصلة بين مركز الخلافة في العراق وبين دمشق والقدس ، وأخذ المركز الديني لمدينة القدس في الاضمحلال والنسيان . ودعمت هذا السبب حوادث طبيعية كزلزال سنة ٧٤٧ ـ ٧٤٨ م الذي دمر القسم الأكبر من أبنية الأمويين واعتبره العباسيون جزءا ألاهيا لظلم بني أمية فأصبحت ديار الظالمين خاوية على عروشها . ومع أن الوازع الديني حمل العباسيين على اصلاح المساجد الا أن القصور بقيت مهجورة مهملة حتى جاءت معاول المنقبين لتبعثها من جديد .

انتهى تقرير الاستاذ بن دوف اليهودي بايجاز. اذا كانت هذه التقارير صادرة عن عدو كان يأمل بايجاد مركز هيكله وبقاياه ليكون في ذلك المبرر لاعادة بنائه ـ اذا كان هذا ما كتبه عدو فماذا كان منقب عربي سيكتب عن هذه المكتشفات العظيمة التي ستفتح صفحة جديدة في تاريخ العرب في مدينة القدس بدأ يكتبها العدو مضطرا.

ولما دعي الجنرال موشي دايان وزير الدفاع الاسرائيلي لمشاهدة هذه الحفريات ظهر عليه الامتعاض وأمر بازالة هذه الطبقة العربية الى ما تحتها من الطبقتين البزنطية والرومانية وازالتهما أيضا بعد أن تنتهي دراستهما والتوقف عند طبقة هرودس ـ باني الهيكل الثاني . وقد اشترط دايان بأن يكون عرض هذا الكشف ما لا يقل عن عشرين مترا حول الحرم الشريف .

دهان احمر على القصارة على الجناح الغربي من المبنى الاموي الثاني

محمود العابدي
المستشار الثقافي
لامانة العاصمة ـ عمان